الدخيل

في تفسير سورة " ص "

دكتور / سمية ثابت أحمد مهران

مدرس التفسير بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

"الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا"(١) "قرآنا عربيا غير ذي عوج"(٢) والصلاة والسلام على رسول الله تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، جلسوا على مائدة القرآن فوجدوا فيه الزاد الذي يكفيهم والدواء الذي يشفيهم والنور الذي يهديهم ورضي الله عنهم أجمعين.

أما بعد

فإن القرآن الكريم لم ينزل به الروح الأمين على قلب الرسول الكريم لأمة خاصة، ولا فترة معينة كما كانت تنزل الكتب السابقة وكما كانت تبعث الرسل الذين بعثهم الله قبل خاتم النبيين، ولكن القرآن الكريم منشور الله

---

١) الكهف: ١.

٢) الزمر: ٢٨.

إلى عباده أجمعين ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي خاتمة الرسالات السماوية إلى يوم الدين، فلابد أن يضمنها الله من العقيدة والشريعة كل ما يصلح البشرية في دنياهم وأخراهم ويحفظ الكتاب الذي جاء بهذه التعاليم من كل يد تمتد إليه بالزيغ أو التحريف فتكفل الله بحفظه كما اخبر في كتابه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"(١).

بينما وكل حفظ الكتب السابقة إلى أحبارها وعلمائها ولم يضمن حفظها كما ضمن القرآن الكريم "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء..."(٢)

فلما وكل حفظ الكتب السابقة إلى أهلها امتدت إليها يد التحريف والتغيير والتبديل "من الذين هادوا يحرفون(٣) الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا"(٤) "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا"(٥)

---

١) الحجر: ٩.

٢) المائدة: ٤٦.

٣) أي يميلون عن مواضعه التي وضعه الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها، أو يؤلونه على مايشتهون. فيميلونه عما أنزل الله فيه - أنوار التنزيل وأسرار التأويل - للقاضي ناصر الدين البيضاوي، ص١٤٢.

٤) النساء ٤٦.

٥) المائدة: ٤١.

وكذلك حفظ الله سنة رسوله لأنه وكل إليه بيان القرآن، والسنة هي المذكرة التفسيرية لكتاب الله: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون"[1].

ولكن بمرور الزمن واتساع الفتوحات دخل في الإسلام أجناس مختلفة، كما نشط أناس من الحاقدين على الإسلام وأهله فامتدت أيديهم بالكيد للإسلام وأهله فدخل الحشو بالإسرائيليات في كتب التفسير، وحرص الزنادقة على تشويه السنة بالوضع والافتراء على رسول الله ﷺ، واختلاق الكذب ونسبتهم إلى رسول الله ما لم يقل فأوقعوا غير الراسخين من العلم في الحيرة والاضطراب.

ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه وسنة رسوله هيأ لهما من العلماء ما يحفظ القرآن ويبين ما دخل التفسير من أكاذيب، كذلك قيض للسنة المطهرة من يحفظ الأسانيد التي رويت بها، ومن يبحث عن أخلاق الرجال الذين رووها فلا يقبلون حديثًا إلا بعد الاطمئنان على حالة رواته من الصدق والورع والدقة.

روى البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن النبي قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"[2] ورواه

---

١) النحل: ٤٤.

٢) صحيح البخاري (٩/١٢٤) كتاب الاعتصام - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين يقاتلون وهم أهل العلم.

مسلم عن المغيرة قال: سمعت النبي يقول: "لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون"[١].

والمراد من الطائفة والقوم في الحديثين: أهل العلم كما قال البخاري، والمراد من أمر الله: الريح التي تأتي قبل قيام الساعة فتأخذ روح كل مؤمن و مؤمنة، ومن روى حتى تقوم الساعة، أي تقرب الساعة وهو خروج الريح. كما قال النووي.

من أجل هذا رجوت أن أخط بقلمي بعض ما ذكره العلماء من هذه الطائفة في الدفاع عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن كنت قد وفقت فهو فضل من الله ومنة، وإن كنت قد قصرت فذلك شأني والكمال لله وحده، وقد سرت في البحث على الوجه الآتي:

قسمت البحث إلى فصلين:

الفصل الأول: نبذة عامة عن الدخيل، ويشمل:

المبحث الأول: معنى الدخيل والإسرائيليات والعلاقة بينهما.

المبحث الثاني: ظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير.

المبحث الثالث: أسباب انتشار الدخيل.

المبحث الرابع: خطورة الإسرائيليات على عقائد المسلمين.

الفصل الثاني: نماذج لما ورد من إسرائيليات في سورة (ص) ويشمل

---

١) صحيح مسلم بشرح النووى (٦٦/١٣) كتاب الامارة - باب قوله صلى الله عليه وسلم "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق".

المبحث الأول: قصة سيدنا داود عليه السلام وما ورد فيها من إسرائيليات.

المبحث الثاني: قصة سيدنا سليمان عليه السلام وما ورد فيها من إسرائيليات

المبحث الثالث: قصة سيدنا أيوب عليه السلام وما ورد فيها من إسرائيليات.

مقدمته

سمية ثابت أحمد

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

الفصل الأول

نبذة عن سورة "ص"

* نبذة عن سورة "ص":

وقبل الحديث عن الدخيل ومصادره وما افتراه المبطلون على الأنبياء في سورة "ص" يجدر أن نذكر نبذة مختصرة عن السورة فنقول:

سورة "ص" من السور المكية إجماعاً، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية في عد الكوفة، وست وثمانون في عد الحجاز والشام والبصرة، وخمس وثمانون في عد أيوب بن المتوكل.

وعدد كلماتها سبعمائة واثنتان وثلاثون كلمة، وحروفها ثلاثة آلاف وسبع وستون.

والمختلف فيها ثلاث: الذكر - غواص - الحق أقول

وتسمى السورة بسورة "ص" للإفتتاحها بها كما تسمى أيضا سورة "داود" لاشتمالها على مقصد قصته في قوله: ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾[1].

* مقصود السورة وهدفها:

للسورة عدة مقاصد وأهداف، منها:

أولا: أنها تعالج أصول العقيدة الإسلامية إذ أنها ابتدأت بالقسم بالقرآن المعجز المنزل على النبي محمد ﷺ، المشتمل على المواعظ البليغة والأخبار العجيبة على أن القرآن حق، ويدل على ذلك تعجب الكفار من نبوته ﷺ، ووصف المنكرين له بالاختلاق والافتراء.

ثانيا: تحدثت عن الوحدانية وإنكار المشركين لها ومبالغتهم في العجب من دعوة الرسول ﷺ ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾[2].

ثالثا: ضربت السورة الأمثال لكفار مكة لكي يتعظوا ويعتبروا بمن سبقهم من الطغاة المتجبرين الذين أسرفوا في التكذيب والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال.

رابعا: ذكر قصص بعض الرسل الكرام كداود وسليمان عليهما السلام الذين جمع الله لهما بين النبوة والملك وما عرض لهما من الابتلاء كما ذكرت قصة أيوب وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وذلك تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من كفار مكة من السخرية

---

١) الآية: ١٧.

٢) ص: ٥.

وتخفيفا لآلامه وأحزانه، وأن ما يلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم لاقاه الأنبياء قبله فصبروا على ما أوذوا حتى نصرهم الله تعالى.

خامسا: حكاية أحوال ساكني جنة المأوى وعجز حال الأشقياء في سقر ولظى وواقعة إبليس مع آدم وحواء وتهديد الكفار على تكذيبهم للنبي المجتبى في قوله ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين﴾.

سادسا: أشارت السورة إلى دلائل القدرة والوحدانية في هذا الكون المنظور وما فيه من بدائع الصنعة للتنبيه على أن هذا الكون لم يخلق عبثا وأنه لابد من دار ثانية يجازى فيها المحسن والمسيء.

سابعا: ختمت السورة ببيان وظيفة الرسول ومهمته الأساسية التي هي مهمة جميع الرسل الكرام[1].

* علاقة هذه السورة بسابقتها سورة "الصافات":

ختمت سورة الصافات ببيان أن جند الله هم الغالبون وإن رئي أنهم ضعفاء وإن تأخر نصرهم غلبة آخرها لهم سلامة للفريقين لأنه سبحانه واحد لكونه محيطا بصفات الكمال.

ومن الحكمة البالغة جعلهم أولا: ضعفاء لأن نصرهم حينئذ أدل على القدرة فإنهم لو كانوا أقوياء لأسند النصر إلى قوتهم لا إلى قدرة ربهم سبحانه.

---

١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز (٣٩٩/١) ط: المكتبة العلمية وصوفة التفاسير، محمد على الصابونى (١٢١٣/٢).

كذلك في سورة "ص" ما يدل على هذا المعنى ويتممه إذ تسميتها بـ (ص) و "ص" مخرجة من طرف اللسان وبين أصول الثنيتين السفليتين وله من الصفات الهمس والرخاوة والإطباق والاستعلاء والصفير، ولأن ماله من الصفات العالية أثر من ضدها وأفخم، ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن لهم على أيديهم هلاك بل ابتلوا وعوفوا وسلمهم الله من أعدائهم.

وكذلك تسميتها بسورة داود عليه السلام لأن حاله عليه السلام أول أحوال من فيها من الأنبياء على هذا المقصد من الضعف أولا والملك آخراً كما فيها الإشارة إلى جعل محمد صلى الله عليه وسلم خليفة الله في عباده وأنه وأتباعه يملكون الأرض"[1].

المبحث الأول

معنى الدخيل والإسرائيليات والعلاقة بينهما

أولاً: معنى الدخيل:

الدخيل في اللغة: هو فعيل بمعنى مفعول، وهو الشيء الغريب، يقال: فلان دخيل في بنى فلان إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم.

والدخيل: الحرف الذي بين حرف الروي وألف التأسيس، سمى بذلك لأنه كان دخيلا في القافية أي مختلفا عنها.

---

١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لأبى الحسن إبراهيم البقاعى (٢/٤١٦) تحقيق د. عبد السميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، وتناسق الدرر فى تناسب السور - لجلال الدين السيوطى - سورة (ص) ص١٢٨ - تحقيق عبد القادر أحمد عطا - ط: ثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

والدخيل بالتحريك: العيب والغش والفساد.

والفعل "دخل" يختلف معناه باختلاف مشتقاته واستعمالاته وقد استعملت اللغة هذا اللفظ بجميع مشتقاته فيأتي بمعنى "سقط" كقول الرسول ﷺ: "دخلت العمرة في الحج"[1] أي سقط فرضها بوجوب الحج ودخلت فيه.

والدخل والدخل: العيب الداخل في الحسب.

والمدخول: المهزول.

وتداخل الأمور: تشابهها والتباسها.

والدخلة في اللون: تخليط ألوان في لون، أي الاختلاط والامتزاج[2]

والدخول في الشيء ضد الخروج منه ويستعمل ذلك في الزمان والمكان والأعمال كقوله تعالى: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾[3] وقوله ﴿أدخلني مدخل صدق﴾[4]، ﴿أتتخذون أيمانكم دخلا بينكم﴾[5] أي: مكراً وخديعةً وغشاً وخيانة.[6]

وعرفه الراغب فقال:

الدخول نقيض الخروج ويستعمل ذلك في المكان والزمان والأعمال.

---

١) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الحج - باب جواز العمرة في أشهر الحج م. ٣ (٨ / ٣٢٧) ط: دار الريان للتراث ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٢) لسان العرب - لابن منظور (٢ / ١٣٤٣) دار المعارف.

٣) البقرة: ٥٨.

٤) الإسراء: ٨٠.

٥) النحل: ٩٢.

٦) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢ / ٥٩) بصبره في الدخل.

والدَخل: كناية عن الفساد والعداوة المستبطنة كالدغل، وعن الدعوة في النسب يقال دخل دخلا، ويقال: دخل فلان فهو مدخول كناية عن بله في عقله وفساد في أصله ومنه شجرة مدخولة.

والدخل طائر، سمى بذلك لدخوله فيما بين الأشجار الملتفة[١]

ومما سبق يتضح لنا أن معنى الدخيل في اللغة هو:

الشيء الغريب المختلط بغيره وهو ليس منه أو أنه يطلق على الأمر المختلط بغيره والمشتبه على الناس.

أو كما قال الدكتور "عبد الوهاب فايد": يطلق على الوافد الذي تسلل من الخارج وليس له أصل في المحيط الذي تسلل إليه[٢].

* معنى الإسرائيليات:

لفظ الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية وهى القصة أو الحادثة التي تروى عن مصدر إسرائيلي، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب ابن إسحاق وإليه نسب اليهود فيقال بنو إسرائيل.

والنسبة في هذا تكون لعجز المركب الإضافي لا إلى صدره، وإسرائيل هو يعقوب وبنو إسرائيل هم أبناء يعقوب ومن تناسلوا فيما بعد إلى عهد موسى عليه السلام، وحتى عهد نبينا محمد ﷺ.

---

١) المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين المعروف بالرغب الاصفهانى - كتاب الدال ص١٦٦ - ط: دار المعرفة بيروت.

٢) الدخيل في تفسير القرآن (١ / ١٣) ط: أولى.

وقد عرفوا بيهود أو باليهود من قديم الزمان، أما من آمن بعيسى فيطلق عليهم اسم "النصارى" وأما من آمن بخاتم الأنبياء فيطلق عليهم المسلمين[١].

وورد ذكرهم في القرآن الكريم منسوبين إليه في مواضع كثيرة منها ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا﴾[٢]، وقوله: ﴿إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾[٣].

كما خاطبهم الله تبارك وتعالى مذكراً لهم بأبوة هذا النبي الصالح حتى يتأسوا به ويتخلقوا بأخلاقه ويتركوا ما هم عليه من الجحود والنكران، كما ذكرهم باسم اليهود وأشهر كتبهم وهي "التوراة" فقال: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[٤] والمراد بها "التوراة" التي نزلت قبل التحريف والتبديل.

وأما سبب تسميتهم باليهود فقيل إنهم سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وقالوا إنا هدنا إليك أي تبنا ورجعنا.

ومن التوراة وشروحها والأسفار وما اشتملت عليه والتلمود وشروحه والأساطير والخرافات والأباطيل التي افتروها أو تناقلوها عن غيرهم كانت معارفهم وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية

---

١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير - د. محمد بن محمد أبو شهبة، ص١٢ - ط: رابعة سنة ١٤٠٨هـ مكتبة السنة.

٢) الاسراء: ٤.

٣) النمل: ٧٦.

٤) المائدة: ٤٤.

للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير والتاريخ والقصص، وهذه المنابع وإن كان فيها حق فهي تشتمل على كثير من الباطل، وإن كان فيها سمين ففيها غث كثير ومن ثم انجر ذلك إلى الإسرائيليات[١].

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على القصص الذي يروى عن مصادر يهودية إلا أن علماء التفسير والحديث يتوسعون في هذا اللفظ ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودية فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني، بل توسعوا فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي من صنيع أعداء الإسلام وحاولوا النيل منه باختلاق الأباطيل والأكاذيب ليفسدوا بذلك عقائد المسلمين كقصة الغرانيق وقصة زواج الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالسيدة زينب بنت جحش[٢].

* الدخيل في الاصطلاح:

أطلق المفسرون أسماء متعددة للدخيل إلا أننا لم نجد تعريفا صريحا له فمنهم من أطلق عليه:

دخيل: نظرا لدخوله واقتحامه على المعاني الحقيقية أو المجازية للقرآن الكريم وهو ليس منها.

ومنهم من أطلق عليه الموضوع نظرا لكذبه وافترائه.

---

١) الإسرائيليات والموضوعات - محمد أبو شهبه ص ١٣.

٢) الإسرائيليات فى التفسير والحديث - د. محمد حسين الذهبى ص٢٠ - سلسلة البحوث الإسلامية ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ومنهم من أطلق عليه الغريب لغرابته وبعده عن الحقيقة.

كما سموه بالإسرائيليات: نظرا لأهلـه وأصحابـه وهم بنـو إسرائيل[1] فالحقيقة واحدة وان اختلفت الأسماء.

وعلى هذا نستطيع أن نوضح معنى الدخيـل فـي الاصطلاح فـي ضـوء المعنى اللغوي فنقول:

الدخيـل: هـو كـل تفسـير أو تـأويل للقـران لا يتوافـق ولا يتطـابق مـع قواعد الإسلام وأصوله مما يخل بمقاصد القرآن ووجوه إعجازه.

* العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات:

والعلاقة بين الدخيل والإسرائيليات بينهما عموم وخوص مطلق أي أنهما يجتمعان في معنى الدخيل وتنفرد الإسرائيليات في الجزئية الخاصة بالنقل عن بنى إسرائيل.

فالدخيل أعم من الإسرائيليات وأوسع مفهوما لأنه يتناول ما روى عن بنى إسرائيل وغيرهم.

وما أطلق على الدخيل الذي افتراه غير اليهود بإسرائيليات إنما هو من باب تغليب اللون اليهودي على غيره لأن أغلب ما روى من ذلك يرجع إلى مصادر يهودية واليهود قوم بهت وهم اشد النـاس عـداوة وبغضـا للإسلام، كما أن اليهود كانوا أكثر صلة بالمسلمين من غيرهم وكانت ثقافتهم أوسع وأشمل من ثقافة غيرهم ولهم القدرة على الحيلة التي يصلون بها إلى تشويه جمال الإسلام.

---

١) الإسرائيليات والموضوعات ص١٢، التحبير فى علم التفسير - جلال الدين السيوطى - ص١٥٠، ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

من أجل هذا غلب اللون اليهودي على غيره من ألوان الدخيل على التفسير فأطلق عليه كله لفظ الإسرائيليات[١].

المبحث الثاني

ظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير

كان لظهور الإسرائيليات ودخولها في التفسير عدة عوامل منها:

١ - تسرب الثقافة الإسرائيلية إلى الثقافة العربية:

وذلك لأن العرب في جاهليتهم كان يقيم معهم جماعة من اليهود القادمين إلى جزيرة العرب وقد جاء اليهود وحملوا معهم ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وما يتصل بها من شروح وكانت ثقافتهم تعتمد أول ما تعتمد على التوراة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله ﴿أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾[٢] كما يدل على بعض ما جاء منها من أحكام فقال: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص﴾[٣].

كذلك من كتبهم التلمود وهو عبارة عن مجموعة قواعد وتعاليم توارثها اليهود جيلاً عن جيل وتناقلوها طبقة عن طبقة.

هذا بالإضافة إلى السنن والنصائح والشروح التي لم تؤخذ عن موسى عليه السلام بطريق الكتابة وإنما أخذوها عن طريق المشافهة.

---

١) الإسرائيليات في التفسير والحديث - د. الذهبي، ص٢٣.

٢) المائدة: ٤٤

٣) المائدة: ٤٥

وكان للعرب في جاهليتها رحلات يرحلونها مشرقين ومغربين كما كانت لقريش رحلتان: رحلة الشتاء ورحلة الصيف، فرحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام وكان في اليمن والشام كثير من اليهود الذين كان يتم بينهم وبين العرب كثير من اللقاءات والتبادل بين المعلومات وكان هذا عاملاً من عوامل تسرب الثقافة اليهودية إلى العرب إلى أن جاء الإسلام وظهر في الجزيرة العربية وكانت المدنية المنورة دار الهجرة تقيم فيها طوائف يهودية كبني قينقاع وبني النضير وغيرهم الذين كانوا يتبادلون المعلومات مع المسلمين ويسألون الرسول ﷺ عن بعض الأشياء إما تعنتاً وتحدياً وإما امتحاناً واختباراً وكان أهم من ذلك كله دخول جماعات من اليهود إلى الإسلام مثل كعب لأحبار وعبد الله بن سلام وغيرهم ممن كانت لهم ثقافة يهودية عالية ولهم بين المسلمين مكانة ومركز ومن هنا بدأوا يحتالون على الإسلام وتستروا به للنيل منه.

من أجل ذلك كان لليهود النصيب الأوفر فيما دس على التفسير[1].

٢- تسرب الثقافة النصرانية إلى العرب:

كذلك من العوامل التي أدت إلى ظهور الإسرائيليات والدخيل في كتب التفسير أهل الكتاب وثقافتهم الدينية والتي تعتمد على الإنجيل وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله: ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل﴾.[2]

---

١) الإسرائيليات والموضوعات ص٢٣ والتفسير والمفسرون ١/١٦٦.

٢) الحديد: ٢٧.

وقد شرح الإنجيل بشروح مختلفة كانت تعد بعد ذلك مصدرا من مصادر الثقافة النصرانية بالإضافة إلى ما زاده النصارى من القصص والأخبار والتعاليم الناتجة عن تحريف الإنجيل والتي زعموا انهم تلقوها من عيسى عليه السلام.

٣- الفرق الضالة من المسلمين:

كالمعتزلة والباطنية وغيرهم ممن لهم تفاسير خاضعة لأهوائهم.

من ذلك قولهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[١]

أن الزكاة مفروضة في كل عام مرة وكذلك الصلاة من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار وكذلك الصلاة والزكاة لهما باطن لأن الصلاة صلاتان والزكاة زكاتان والصوم صومان والحج حجان وما خلق الله من ظاهر إلا وله باطن.

يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وذروا ظاهر الآثم وباطنه﴾.[٢]

دخول الإسرائيليات في التفسير:

علمنا مما سبق أن الثقافة اليهودية والنصرانية كانت هي المعول الأساسي لدخول الإسرائيليات في كتب التفسير ومدى تأثر المفسرون بها.

---

١) النور: ٥٦.

٢) الأنعام: ٢٢ وينظر التفسير والمفسرون د. الذهبي (٢/٢٣٩) وأضواء على السنة المحمدية - محمود أبو ريه ص ١١٤- ط: ثالثة دار المعارف.

ونقول هنا إن هذه الثقافات بدأ دخولها منذ وقت مبكر قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل ظهور الدين الإسلامي ثم أخذت تتسلل رويداً رويداً إلى أن أصبح لها وجود واقعي في المصنفات الإسلامية خاصة في كتب التفسير.

وعلى هذا فهي مرت بعدة مراحل متفاوتة:

المرحلة الأولى: قبل بعثة الرسول ﷺ:

تعتبر الجزيرة العربية مأوى لأهل الديانات السابقة للإسلام عندما كانوا يضطهدون في ديارهم فلا يجدون مأوى ولا ملاذا إلا الالتجاء إلى الجزيرة العربية لأنها أرض النبيين أصحاب الرسالات كنوح وهود وصالح وموسى عليهم السلام.

ولذلك اتخذها اليهود أو كثير منهم مستقراً ومأمناً عندما شردوا وقتلوا وذلك أنهم هاجروا إلى مصر إثر ما حاق بموطنهم من مجاعة وما أصاب مراعيها من جفاف وقد ظلوا هناك فترة من الزمن ينعمون بكرم المصريين ورعايتهم إلى أن تغير موقف المصريين فيما بعد إلى نقيض ما كانوا عليه لخشيتهم من تكاثر عددهم ومن استفحال نفوذهم في البلاد فأصبحوا موضع مقتهم يسومنهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نسائهم وظلوا كذلك فترة من الزمن إلى أن أرسل الله لهم موسى وأخاه هارون عليهما السلام فآمن بهما بنو إسرائيل وكذب فرعون وقومه وبدأت

المشاحنات والمشادات بينهم وبين فرعون فهاجر بعضهم إلى قبائل من البدو الرحل والبعض إلى الجزيرة العربية[١].

ووجدوا الملاذ في أرض اليمن فاستظلوا بظل قوم تبع وقد اعتنق اليهودية بعض اليمنيين ولكن اليهود لم يضموا اليمنيين الذين اعتنقوا اليهودية إليهم وذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم جنسية تمتاز عن بقية البشر وفى نزوح اليهود إلى بلاد اليمن أتيح لهم معاشرة الأوس والخزرج في موطنهم الأصلي باليمن وعندما هاجر الأوس والخزرج إلى يثرب حيث الجناب الخصيب هاجر اليهود إلى ما حول يثرب فهاجر بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة وخيبر واتخذوا حصوناً تحتويهم حينما أقاموا.

وكذلك كما آوت اليهودية إلى أرض العرب آوت كذلك النصرانية التي كانت مضطهدة من الرومان ولجأت النصرانية إلى أرض نجران ويظهر أنهم كانوا في ابتداء أمرهم موحدين حتى غشيت الوثنية تلك الديانة السماوية بالتلبث وادعاء الألوهية لعيسى بن مريم وأمه والروح القدس[٢].

وهكذا كانت أرض العرب مأوىً لكثير من أصحاب الرسالات والدعوات التي ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وقد حمل اليهود والنصارى الذين هاجروا إلى جزيرة العرب ما حملوا من ثقافات مستمدة من كتبهم الدينية وما يتصل بها من شروح وما توارثوه

---

١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة د. على عبد الواحد وافى ص ٦٠٧ط أولى ١٣٨٤ / ١٩ ٦٤ م والكتاب المقدس - سفر التكوين إصحاح ٤٧ فقرة ٢٧.

٢) خاتم النبيين للشيخ محمد أبو زهرة (٤٣/١ ط: دار الفكر العربي).

جيلاً بعد جيلٍ عن أنبيائهم وأحبارهم وكان لابد من تفاعل الثقافات وتداخل المعارف عند لقاء قوم بقوم وتعامل الناس مع بعضهم[١].

المرحلة الثانية: بعد بعثة النبي ﷺ:

بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ليبلغ رسالة ربه إلى الناس عامة وإلى العرب خاصة وكان مبعثه عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة قلب الجزيرة العربية ومركزها الديني وكانت قريش أكبر القبائل العربية تسكن مكة وكان لها رحلتان إحداهما إلى الشام والأخرى إلى اليمن وكانوا على اتصال بأهل الكتاب في بعض مدن الجزيرة العربية ويتلقون معارفهم وثقافاتهم.

ولما هاجر الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة المنورة وجد فيها طوائف اليهود الذين سكنوا واستوطنوا بعد نزوحهم من البلاد التي كانوا فيها وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يلتقي بهم ويعرض عليهم الإسلام ويناقشونه ويجادلونه عناداً واستكباراً عن دخولهم في الإسلام كما كانوا يحكمونه فيما بينهم من خلاف ويسألوه عن بعض ما يعن لهم السؤال إما تحدياً وتعجيزاً أو امتحاناً واختباراً لصدق نبوته مع معرفتهم وتأكدهم من أنه نبي من عند الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾.[٢]

---

١) الإسرائيليات في التفسير الحديث ص ٢٤- بتصرف.

٢) البقرة: ١٤٦، وينظر فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٤٤، وما بعدها ط: دار الكتب الحديثة.

واستمر دأبهم على هذا مع الرسول صلى الله عليه وسلم يناصبونه العداء إما ظاهراً وإما خفياً وينكرون ما في التوراة من أحكام تشريعية وتعاليم دينية كآية الرجم التي أنكروها وصفته عليه الصلاة والسلام[١].

وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع من أهل الكتاب سواء كانوا يهود أو نصارى بل إنه صلى الله عليه وسلم كان يدل اليهود على ما في التوراة من الأحكام الشرعية وصفته ومبعثه التي كان اليهود عليها.

وروى أن "عمر بن الخطاب" أتي النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال: "امتهوكون[٢] فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني.[٣]

وهذا يدل على شدة حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على ألا يأخذ أصحابه عن أهل الكتاب نظراً لعدم صدقهم وعدم أمانتهم.

المرحلة الثالثة: مرحلة الصحابة:

وهى تعتبر المرحلة الفعلية لدخول الإسرائيليات في التفسير وذلك لدخول جماعة من أهل الكتاب في الإسلام ككعب الأحبار وعبد الله بن سلام

---

١) السيرة النبوية لابن هشام (٢٣١/١-٢٣٣) ط: كتاب التحرير، ١٣٨٤ هـ.

٢) المتهوك: المتحير. القاموس المحيط ص ١٢٣٧ باب الكاف فصل الهاء.

٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٣٨٧/٣)، وينظر: منار السبيل في بيان ما في التفسير من الدخيل، أ. د. محمد إبراهيم الشافعي ص ١٢١ وما بعدها.

وغيرهم ولأهل الكتاب ثقافاتهم التي أتوا بها والتي يشوبها كثير من الأباطيل والخرافات كما قلنا ذلك من قبل.

وكان من الطبيعي أن يتأثر العرب المسلمون بثقافة أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام وذلك لأن العرب بحكم مجاورتهم لهؤلاء كانوا يرجعون إليهم فيما أجمله القرآن وذلك نظراً لاتفاق القرآن والاطناب فى التوراة والإنجيل في بعض المسائل مع فارق واحد وهو الإيجاز في القرآن مع التوراة والإنجيل والرجوع إلى أهل الكتاب كان مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلا إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن ولا يجد من يجيبه سوى هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية فألقوا إليهم ما ألقوا من الأخبار والقصص الديني.(١)

وإذا تتبعنا بعض الموضوعات في القرآن وقارنا بين ما أورده القرآن وبين ما أوردته التوراة والإنجيل نجد أن التوراة والإنجيل قد فصلا بعض الحوادث التي أجملها القرآن الكريم فالقرآن إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء مثلا فانه ينحو بها ناحية يخالف بها منحى التوراة والإنجيل فنجد القرآن يقتصر على مواضع العظة ولا يتعرض للجزئيات ولا يذكر تاريخ الوقائع ولا أسماء البلدان ولكنه يتخير ما يمس جوهر الموضوع وما يتعلق بموضع العبرة على خلاف ما جاء في التوراة أو الإنجيل.

فمثلا قصة "آدم" عليه السلام، ورد ذكرها في القرآن في أكثر من موضع إلا أنه لم يتعرض لمكان الجنة التي هبط منها "آدم" ولا لنوع الشجرة ولا للحيوان الذي تقمصه الشيطان ليزيل آدم وزوجه عنها.

---

١) التفسير والمفسرون (١/١٦٩).

في حين نجد ذلك مفصلا في التوراة. فأبانت التوراة أن الجنة في عدن شرقاً وأن الشجرة التي نهيا عنها كانت في وسط الجنة وأنها شجرة الحياة وأنها شجرة معرفة الخير والشر وأن الحيوان الذي تقمصه الشيطان هو الحية كما ذكرت التوراة أن الله انتقم منها فجعلها تمشى على بطنها وتأكل التراب وانتقم من حواء بتعبها هي ونسلها في حبلها إلى غير ذلك مما يتعلق بهذه لقصة.[١]

وغير ذلك من الموضوعات التي أجملها القرآن الكريم إلا أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شئ ولم يقبلوا منهم كل شئ بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها مع حكمهم فيما يأخذونه منهم وإذا كان يحتمل الأمرين فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل إلينا"[٢]

وعلى هذا فان الصحابة إذا أخذوا عن أهل الكتاب كانوا يصدقونهم فيما يتفق مع شريعتنا ويكذبونهم فيما لا يتفق معها ويتوقفون فيما يحتمل الأمرين الصدق والكذب فلا يقطعون بصدقه لاحتمال أن يكون كذباً ولا يقطعون بكذبه لاحتمال أن يكون صدقاً بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شئ فأجابوا عنه خطأ ردوا عليهم خطأهم وبينوا لهم وجه الصواب فيه.

---

١) العهد القديم – الإصحاح الأول من سفر التكوين ص٤-٥- باختصار، وينظر الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم، د. محمد حسين الذهبي ص٢٦.

٢) رواه البخاري عن أبي هريرة (٦/٣٥) ط: كتاب الشعب، والآية في سورة البقرة: ١٣٦.

من ذلك ما رواه البخاري عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: "فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه إياها وأشار بيده يقللها"[١]

فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة وهل هي باقية أو رفعت وإذا كانت باقية فهل هي جمعة واحدة من السنة أو في كل جمعة منها.

فسأل أبو هريرة كعب الأحبار عن ذلك فيجيبه بأنها في جمعة واحدة من السنة فيرد عليه أبو هريرة هذا ويبين له أنها في كل جمعة فيرجع كعب إلى التوراة فيرى الصواب مع أبى هريرة فيرجع إليه[٢]

وأيضا نجد أبا هريرة يسأل عبد الله بن سلام عن تحديد هذه الساعة ويقول له: أخبرني ولا تضن على فيجيبه عبد الله بن سلام بأنها آخر ساعة في يوم الجمعة فيرد عليه أبو هريرة: كيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى" وتلك الساعة لا يصلى فيها فيجيبه عبد الله بن سلام بقوله: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم "من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصل"[٣]

---

١) البخاري (٢/١٦) باب الجمعة.

٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني (٢/٣٨٣) كتاب الجمعة - باب الساعة ط: أولى المطبعة الخيرية.

٣) المرجع السابق (٢/٣٨٢) وأخرجه الإمام مالك بطوله وفيه قصة كعب الأحبار وعبد الله بن سلام وحوار أبي هريرة معهما - الموطأ ص٨٨ - كتاب الجمعة - باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة ط: كتاب الشعب والترمذي (٢/٢٧٧).

فهذه المراجعة تدل على أن الصحابة لم يكونوا يقبلون أي شئ أو كل ما يقال لهم من أهل الكتاب بل كانوا يتحرون الدقة والصواب ويردون على أهل الكتاب إن كان قولهم لا يوافق وجه الصواب[١].

كما انهم كانوا لا يسألون عن الأشياء التي تشبه أن يكون السؤال عنها نوعا من اللهو والعبث كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ومقدار سفينة نوح ونوع خشبها واسم الغلام الذي قتله الخضر[٢].

دفع شبهة:

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعد من النار".[٣]

وهذا يتعارض مع قوله عليه الصلاة والسلام " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا. ..[٤]

وأيضا ما روى أن عمر بن الخطاب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب فقال: "امتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن

---

١) التفسير والمفسرون (١/١٧٠) وما بعدها.
٢) الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن ص ٧، السنة قبل التدوين ص ١١٢ وما بعدها. مكتبة وهبة، المعجزة الكبرى القرآن للشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٩٢ ط: دار الفكر العربي.
٣) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو (٤/٢٠٧) كتاب بدء الخلق - باب ما ذكر عن بني إسرائيل.
٤) رواه البخاري عن أبي هريرة (٦/٣٥) كتاب التفسير.

شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم حياً ما وسعه إلا أن يتبعني".[١]

نقول: إنه لا تعارض بين هذه الأحاديث وذلك لان الحديث الأول أباح لهم أن يحدثوا عما وقع لبنى إسرائيل من الأعاجيب لما فيها من العبرة والعظة بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوبا.

يقول الحافظ ابن حجر: وقال الشافعي: ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه[٢].

وأما الحديث الثاني: فيقول فيه الحافظ "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم" أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه نبه على ذلك الشافعي رحمه الله[٣].

وأما الحديث الثالث فلا يعارض الجواز لأن النهي الوارد كان في ابتداء الإسلام وقبل استقرار الأحكام.

---

١) مسند الإمام أحمد (٣/٣٨٧) ط: أولى المكتب الإسلامي.

٢) فتح الباري (٦/٣٢٠) كتاب بدء الخلق - باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

٣) فتح الباري (٨/١٢٠) كتاب التفسير البقرة آية: ١٣٦.

قال الحافظ: وكأن النهى قد وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ولما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار[١].

ومن هذا يتبين لنا أنه لا تعارض بين هذه الأحاديث الثلاثة كما يتبين لنا مدى حرص الصحابة ودقتهم وشدة تيقنهم على ما أخذوه من علماء أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام بل اتبعوا كل تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بينه ووضحه لهم.

المرحلة الرابعة: عصر التابعين:

التابعون هم تلامذة الصحابة الذين نقلوا عنهم الحديث والتفسير وكل ما هو من تعاليم الإسلام وكانوا أهل عدالة وثقة وبذلوا جهدا كبيرا في المحافظة على الثقافة الإسلامية من كل دخيل وغريب فلم يكن التابعون أقل اهتماماً من الصحابة في الاحتياط والتحرى فيما يقبلون من مرويات بل كانوا يتثبتون بكل وسيلة تطمئن قلوبهم والمستقرئ لتاريخ الرواة من التابعين يظهر له مدى ما كان يحرص عليه التابعون من التثبت والتدقق. فقيل كان يزيد بن أبى حبيب محدث الديار المصرية يقول: إذا سمعت الحديث فانشد الضالة فان عرف فخذه وإلا فدعه[٢].

إلا أنهم مع شدة تثبتهم وتحريهم لكنهم لم يكن لهم شروط خاصة في قبول الرواة كما كان يفعل الصحابة فلم يرو عن أحد منهم أنه اشترط روايتين أو أكثر لقبوله الرواية[٣].

---

١) فتح الباري (٦/٣٢٠) ما ذكر عن بني إسرائيل.

٢) الجرح والتعديل (١/٨-١١) ط: دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان.

٣) السنة قبل التدوين. د. محمد عجاج الخطيب ص ١٢٤ ط: مكتبة وهبة.

ثم إن الفتوحات الإسلامية توسعت في عصر التابعين ودخل خلق كثير في الإسلام وأسلم عدد كبير من أهل الكتاب فجاء ما روي عن هذه الكثرة التي دخلت في الإسلام مليئا بالقصص المنكرة والروايات الباطلة مع شدة ميل نفوس القوم لسماع ما في كتبهم من أعاجيب، من ذلك التفسير المنسوب إلى قتادة ومجاهد وغيرهم[1].

بالإضافة إلى أنه في هذا العصر ظهرت الأحزاب وحدثت الفتن وانقسم المسلمون إلى شيعة وخوارج وغيرهم، فكان كل ذلك مدعاة لكثرة الدخيل وانتشاره.

ويوضح لنا العلامة "الطوفي سليمان بن عبد القوى" الأسباب التي جعلت التابعين يرجعون إلى مصادر لم تكن على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيقول: وسبب ذلك أن ما أخذه بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفسير تناقلوه فيما بينهم على حسب الإمكان، ولعل بعضهم مات ولم ينقل ما عنده منه لمبادأة الموت له ثم تفرق الصحابة رضى الله عنهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في البلاد ونقلوا ما علموه من التفسير إلى تابعيهم وليس كل صحابي علم تفسير جميع القرآن بل بعضه إذ الجامعون للقرآن على عهده صلى الله عليه وسلم كانوا نفراً معدودين وشرذمة قليلين فألقى الصحابي ذلك البعض إلى تابعه، ولعل ذلك التابعي لم يجتمع بصحابي آخر يكمل له التفسير أو اجتمع بمن لا زيادة عنده على ما عنده عن الصحابي الذي أخذ عنه فاقتصر عليه وشرع يكمل تفسير القرآن باجتهاده من اللغة تارة، ومن السنة تارة ثانية، ومن نظير الآية المطلوب تفسيرها من القرآن تارة ثالثة، ومن مدارك أخر رآها صالحة لأخذ التفسير منها كالتاريخ وأيام الأمم الخالية، والقضايا

---

١) الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٣٦.

الإسرائيليات ونحوها فاتسع الخرق وكثر الدخل في التفسير حتى آل الأمر إلى الأقوال الكثيرة[١].

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً فكثرت دخول الإسرائيليات إلى الكتب دون تحوط ولا تثبت[٢].

ثم ألف في التفسير بعد هذا خلائق كثيرون اختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال من غير أن يعزوها إلى قائلها ولذلك دخل أكثر من ذي قبل والتبس الصحيح بالعليل وصار كل من يسنح له قولٌ يورده ومن يخطر بباله شئ يعتمده غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح[٣].

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن وقف علماء المسلمين أمام هذا الخطر وتصدوا لهذه المفتريات وكشفوا عن بطلانها وأبانوا للناس كذبها ووضعها[٤].

* مقالة العلامة ابن خلدون في الإسرائيليات:

يتحدث العلامة "ابن خلدون" في (مقدمته) عن أسباب الاستكثار من هذه المرويات وكيف تسربت إلى المسلمين، فيقول:

---

١) الإكسير في علم التفسير – الطوفي سليمان بن عبد القوي ص ٦ – تحقيق د. عبد القادر حسين.

٢) التفسير والمفسرون (١/١٧٦)، والإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٣٦.

٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/٢١٢) والإسرائيليات الموضوعات ص ٧٣.

٤) التفسير والمفسرون (١/١٧٦) والإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٣٧.

وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وإنما غلبت عليهم النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عن أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم، من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم من أمثال هذه الأغراض أخباراً موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فتتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بَعُدَ صبتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ"[1].

وبهذا يكون العلامة "ابن خلدون" أرجع الأمر إلى اعتبارين أحدهما: اجتماعي وهو غلبة البداوة والأمية للعرب والتي جعلتهم متشوقين لمعرفة ما تتشوق النفوس البشرية إليه من أسباب المكونات وبدء الخليقة وغير

---

١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٩-٤٤٠ مطبعة مصطفى محمد.

ذلك مما ذكر، والثاني: ديني وهو الذي سوغ لهم تلقى المرويات في تساهل وعدم تحر للصحة[1].

المبحث الثالث

أسباب انتشار الدخيل

كان لانتشار الدخيل وفشوه عدة عوامل وأسباب ساعدت في نشره بهذه الصورة، ونذكر من هذه الأسباب:

١- ما دسه الزنادقة من اليهود والفرس والرومان وغيرهم في الرواية الإسلامية فقد دخل هؤلاء الإسلام وهالهم ماله من قوة فتربصوا به الدوائر وأضمروا الشر والكيد له وتستروا بالإسلام بل بالغ بعضهم في التستر فتظاهر بحب آل البيت، ولما كانوا لا يملكون مواجهة سلطان الإسلام لا عن طريق الحرب والعداوة السافرة ولا عن طريق الحجة والبرهان توصلوا إلى أغراضهم الدنيئة عن طريق الوضع والدس في المرويات الإسلامية عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين.

وكان هذا الصنف من أخبث الوضاعين إذ أنهم وضعوا على النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث يناقضها العقل.

وإنما شاع ذلك وذاع بين الناس لأن اليهود قوم ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب فمن السهل عليهم أن يحبكوا القصة في

---

١) التفسير والمفسرون (١/١٧٧) بتصرف.

خبث ومهارة ويذيعوها بين أرباط العامة ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة[1].

٢- مجاورة أهل الكتاب للعرب ودخول جماعة منهم في الإسلام ككعب الأحبار، ووهب بن منبه، وكما تحدثنا من قبل أن هؤلاء دخلوا الإسلام وحملوا معهم المرويات المكذوبة والخرافات الباطلة الناتجة عن تحريف التوراة، وما نتج من تأثر الصحابة والتابعين ونقلهم عنهم خاصة أن هذه الإسرائيليات لم تكن متعلقة بأصول الدين من الحلال والحرام والتي جرى العلماء من الصحابة والتابعين على التحري عن رواتها وإنما كانت تتعلق بالقصص وأخبار الأمم الماضية والفتن وغيرها.

٣ - نقل كثير من الأقوال والآراء المنسوبة إلى الصحابة من غير إسناد ومن غير تحر لرواتها إذ وجد بعض من العلماء عند تفسيرهم يذكرون المروي عن الصحابي أو التابعي دون أن يذكر السند مما ساعد على دخول الإسرائيليات والتباس الصحيح بالضعيف والحق بالباطل.

٤ - ما ذكره بعض الزهاد والمتصوفة في تفسيرهم حيث استباحوا لأنفسهم وضع الأحاديث والقصص في الترغيب والترهيب وتأولوا في الحديث المتواتر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقالوا إنما نكذب للنبي ولا نكذب عليه وكل ذلك جهل منهم بقواعد اللغة لأنه كله كذب عليه لأن كل من ينسب إلى النبي، أو الصحابة أو التابعين ما لم يقولوه فقد كذب عليهم. قيل لأبي عصمة بن أبي مريم: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، فقال: رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه

---

١) الإسرائيليات والموضوعات ص ٨٦، الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٢.

أبى حنيفة ومغازى محمد بن اسحق فوضعت هذا حسبة لوجه الله، وعن طريق هؤلاء دخل في التفسير شئ كثير.

٥ - كثرة القصاص: إذ كانت هناك فئة تقص بالمساجد ويعظون الناس ويستميلونهم بقصص لا أصل لها، إذ أنهم ليسوا من أهل العلم بالحديث، وكان غرضهم من ذكر القصص استماله العوام إذ أنهم كانوا يستهوونهم بما يرونه من غرائب وأعاجيب، والنفس إذا لم يكن لها حصانة من علم صحيح وبصيرة تميز بها بين الحق والباطل، كثيرا ما تنطلي عليها تلك الأعاجيب وتسلم في بساطة ويسر للغرائب ولو كانت أكاذيب.

وصور العلامة "ابن قتيبة" مبلغ تأثير هؤلاء القصاص على العامة فقال: فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول أو كان رقيقا يحزن القلوب فإذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك أو زعفران وعجيزتها ميل في ميل ويبوئ الله وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة في كل مقصورة سبعون ألف قبة في كل قبة سبعون ألف فراش، ولا يزال هكذا في السبعين لا يتحول عنها كأنه يرى أنه لا يجوز أن تكون العدد فوق السبعين ألفا ولا دونها، ويقول لأصغر من في الجنة منزلة عند الله من يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا ضعفاً، وكلما كان هذا أكثر كان العجب أكثر والقعود

عنده أطول والأيدي بالعطاء عليه أسرع، والله تبارك وتعالى يخبرنا في كتابه بما في جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصص وسائر الخلق[١].

فيصور لنا الإمام "ابن قتيبة" كيف استطاع هؤلاء القصاصون أن يستميلوا قلوب العامة بما يروونه من المناكير والأكاذيب عند ذكر الجنة مما يفرح القلوب، أو ما كان يحزن القلب ويستدر الدمع ويفعلون ذلك لاستدرار المال من العامة.

وهذا مما أفزع العلماء وأزعجهم فطردوهم من المساجد ومنعوا الناس من الجلوس إليهم والاستماع لما يقصونه كما فعل الإمام على كرم الله وجهه وغيره من الأئمة[٢].

٦ - الخلافات السياسية والمذهبية: إذ سولت هذه الخلافات لأرقاء الدين وضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذهبهم وأحاديث في فضائل متبوعيهم ومثالب مخالفيهم، وذلك كما فعل الشيعة ولا سيما الروافض فقد وضعوا في فضل سيدنا على وآله أحاديث كثيرة ونسبوا إليه كل علم وفضل وفيها ما يتعلق بتفسير بعض آيات القرآن وبأسباب النزول كما وضعوا أحاديث في ذم أبى بكر وعمر وعثمان وعمرو بن العاص.

وكما فعل أنصار العباسيين فقد وضعوا على ابن عباس روايات كثيرة ولا سيما في تفسير القرآن وصوروه بصورة العالم بكل شئ وقولوه ما لم

---

١) تأويل مختلف الحديث ص ١٨٨ من أسباب فساد الحديث القصاص ط: دار الكتاب العربي - بيروت.

٢) ينظر: مناهل العرفان (٢/٢٣ - ٢٤) ط: دار الفكر العربي، والإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٤٣، وإحياء علوم الدين للغزالي (١/٣٤-٣٥) كتاب العلم - بيان مابدل من ألفاظ العلوم ط: المكتبة التجارية الكبرى.

فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾[1].

٢- تصوير الدين الإسلامي بصورة دين خرافي لا يعتني إلا بالأباطيل التي لا أصل لها.

من ذلك ما ذكره القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾.[2]

من أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلي ورؤوسهم قد خرقت العرش.

وعن كعب الأحبار قال: لما خلق الله تعالى العرش قال: لن يخلق الله خلقا أعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية: للحية سبعون ألف جناح، في الجناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف فم، في كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد الشجرة والورق وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، فالتوت الحية بالعرش، فالعرش إلى نصف الحية وهي ملتوية عليه[3].

---

١) طه ٨٣ - ٩٠.

٢) غافر: ٧.

٣) تفسير القرطبي ص٥٧٣٨، ٥٧٣٩، ط كتاب الشعب، وينظر الاسرائيليات في التفسير والحديث، ص ٤٨: ٥٤ باختصار.

٣ – أنها فتحت بابا واسعا لطعون المبشرين والمستشرقين الذين يتصيدون كل أمر شأنه أن يهز الإسلام ويضعف شأنه في نفوس أتباعه بل يجعله ينظر إليه نظرة الشك والارتياب[١].

٤ – كذلك أنها شغلت الناس عن الغرض الأساسي الذي أنزل من أجله القرآن الكريم وألهتهم عن التدبر في آياته والانتفاع بعبره وعظاته والبحث عن أحكامه وحكمه إلى توافه لا خير فيها وتفاصيل لا يعدو أن يكون الاشتغال بها لونا من العبث كالكلام عن لون كلب أهل الكهف واسمه وعن عصا موسى من أي الشجر كانت. وما إلى ذلك مما طواه القرآن وسكت عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين من ذكره لهم.

٥ – أن نسبة هذه الإسرائيليات إلى بعض علماء السلف من الصحابة والتابعين كادت تذهب بالثقة فيهم إذ أن بعض الزنادقة والوضاعين أسندوا

ما رووه إلى السلف الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث، فاتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين مدسوسين على الإسلام وأهله[٢].

وبعد: فهذه هي بعض جوانب الخطورة على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام من رواية الإسرائيليات التي ما أرادت بكل هذا إلا هدم الدين الإسلامي، ولكن الله سبحانه قيض لدينه من يدافع عنه ويهتم به، فقاسم علماء الدين ورجاله من التفسير والحديث الذين اهتموا اهتماما خاصا بهذا

---

١) الإسرائيليات والموضوعات ص ٩٤.

٢) الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ٥٥.

النوع من الدخيل وقاموا بالتنبيه والإرشاد إليه حتى لا ينخدع الناس به ويقبلوه على ما فيه من غش وخداع.

وهذا تحقيقا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[1].

الفصل الثاني

نماذج لما ورد من الإسرائيليات في في سورة "ص"

المبحث الأول

الإسرائيليات الواردة في قصة داود عليه السلام وإبطالها

ذكرت قصة داود عليه السلام في القرآن الكريم مرات كثيرة تارة مختصرة وتارة مطولة وكلها يكمل بعضها بعضا وقد طالت مدته في الملك وورد اسمه في القرآن الكريم في ستة عشر موضعا وهو رسول عظيم ونبي كريم أرسله الله تبارك وتعالى كما أرسل الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[2].

ونتناول بالبحث هنا جانبا من قصته وما ورد فيها من إسرائيليات وإبطال هذه الإسرائيليات.

قال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال

---

١) الحجر: ٩.

٢) قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار ص ٣٦١ - مكتبة التراث.

نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود إنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾[1].

* الإسرائيليات الواردة في القصة:

نذكر أولا ما كتب في العهد القديم حيث قالوا عن داود عليه السلام:

"وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثي فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فأضجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى فأرسل داود إلى يواب يقول أرسل إلى أوريا الحثي فأرسل يواب أوريا إلى داود فأتى اوريا إليه فسال عن سلامه يواب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لاوريا انزل إلى بيتك واغسل رجليك. فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فاخبروا داود قائلين لم ينزل اوريا إلى بيته فقال داود لاوريا أما جئت من السفر فلم لم تنزل إلى بيتك فقال اوريا لداود أن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل واشرب وأضجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا افعل هذا الأمر فقال داود لاوريا أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك

---

١) ص: ٢١: ٢٥.

اليوم وغده ودعاه داود، فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل.

وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوربا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوربا في وجه الحرب الشديد وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. .. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوربا البحثي.

وفى الفقرة (٢٦) فلما سمعت امرأة أوربا أنه قد مات أوربا رجلها ندبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب[1].

وفى الإصحاح الثاني عشر: أنه أرسل الرب ناثان إلى داود فجاء إليه وقال له كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غنى والآخر فقير وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا، وأما الفقير فلم يكن له إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعا فجاء ضيف إلى الرجل الغنى فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيأ للرجل الذي جاء إليه فحمى غضب داود على الرجل جدا وقال لناثان حي هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولم يشفق فقال ناثان لداود أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل - إلى أن قال (فقال داود لناثان قد أخطأت إلى الرب فقال ناثان لداود الرب أيضا قد نقل عنك خطيتك لا تموت غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت. .

---

١) العهد القديم الإصحاح الحادي عشر - صموئيل الثانى، ص ٤٩٨-٤٩٩.

ومات الولد – (وعزى داود بتشبع آمراته ودخل إليها واضطجع معها فولدت له ابنا

فدعاه سليمان والرب أحبه وأرسل بيد ناثان النبي ودعا اسمه بديديا من أجل الرب[1].

هكذا ذكرت القصة في العهد القديم – ثم استقى المفسرون بعد ذلك هذه القصة فرووها عدة روايات تخل بمقام الأنبياء وتنافى عصمتهم وتقدح في نبوتهم إذ ذكروا كثيرا من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان ولا يوافق عقلا ولا نقلا عن ابن عباس وكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهم حيث قالوا:

إن داود قال يا رب قد أعطيت إبراهيم واسحق ويعقوب من الذكر ما لو وددت أنك أعطيتني مثله قال الله إني ابتليتهم بما لم أبتلك به فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيك كما أعطيتهم، قال نعم، قال له فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه، فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة الحراب فذهب ليأخذها، فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم من المحراب فأرسل إليها فجاءته فسالها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمره كل السرايا ليهلك زوجها ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصروا وإن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه فبينما داود ذات يوم في محرابه إذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرا فزع وسكت وقال لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون على محرابي قالا له لا تخف خصمان بغى

---

١) العهد القديم الإصحاح الثانى عشر، ص ٥٠٠-٥٠١.

بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا، قال أحدهما: إن هذا آخي له تسع وتسعون نعجه أنثى ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها يريد أن يتمم بها مائة ويتركني ليس لي شئ وعزني في الخطاب قال إن دعوت ودعا كان أكثر، وإن بطشت وبطش كان أشد منى، قال له داود أنت أحوج إلى نعجتك منه لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ونسى نفسه صلى الله عليه وسلم فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك فتبسم أحدهما إلى الآخر فرآه داود وظن أنما فتن فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب.

وروى أيضا أن داود كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضى فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم يخلو فيه لنسائه، وكان له تسه وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضل إبراهيم واسحق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال يا رب أن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأعطني مثل ما أعطيتهم وافعل بي مثل ما فعلت بهم قال: فأوحى الله إليه أن أباك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه، وابتلى اسحق بذهاب بصره، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف، وإنك لم تبتل من ذلك بشيء قال يا رب ابتليني بمثل ما ابتليتهم به وأعطني مثل ما أعطيتهم قال فأوحى إليه أنك مبتلى فاحترس قال فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلى فمد يده ليأخذه فتنحى فتبعه فتباعد حتى وقع في كوة فذهب ليأخذه فطار من الكوة فنظر أن يقع فبعث في أثره، قال فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا فحانت منها التفاتة فأبصرته فألقت شعرها فاستترت به فزاده ذلك فيها رغبة فسأل عنها فاخبر أن لها زوجا، وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا إلى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له وكتب إليه بذلك فكتب إليه أيضا أن يسير إلى مكان كذا وكذا

فكان إذا سار إليه لم يرجع ففعل فأصيب فخطبها فتزوجها وقيل إنها أم سليمان، فأرسل الله تعالى إليه ملكين فقال أحدهما: إن هذا آخي له تسع وتسعون نعجة. .. القصة، ومنها أن الملكين لما سمعا حكم داود وقضاءه بظلم صاحب التسع والتسعين نعجة لصاحب النعجة قالا له وما جزاء من فعل ذلك ؟ قال: يقطع هذا وأشار إلى عنقه، وفي رواية: يضرب من ههنا وههنا وههنا ' وأشار إلى جبهته وأنفه وما تحته فضحكا وقالا أنت أحق بذلك منه ثم صعدا.

وقيل: إن داود لما تاب مكث يبكى ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة منها ثم يقع ساجدا يبكى ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه، فأوحى الله إليه بعد أربعين يوما يا داود أرفع رأسك قد غفرت لك فقال يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء إذا جاءك أهربا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرشك، يقول يا رب سل هذا فيم قتلني، فأوحى إليه إذا كان ذلك دعوت أهربا فأستوهبك منه فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة، قال رب الآن علمت أنك قد غفرت لي فما استطاع أن يملا عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم.

كما روى أن داود نقش خطيئته في كفه لكيلا ينساها فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت.

وذكر البغوى في تفسيره وغيره: عن وهب بن منه أن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنه لا يرقا دمعه ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبع وسبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام، يوم للقضاء بين بنى إسرائيل، ويوم لنسائه ويوم يسبح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب

فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك فإذا كان يوم نباحه يخرج في الفياقي فيرفع صوته بالمزامير فيبكى ويبكى معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجئ إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجئ إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكى وتبكى معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع[1].

* الرد على هذه الروايات الباطلة:

هذه الروايات من أكاذيب بنى إسرائيل والتي ما أرادوا بها إلا النيل من الإسلام والمسلمين وتناقلها المسلمون عنهم من غير نقد أو تفنيد وألصقوا التهم الباطلة بالنبي الصالح زورا وبهتانا، تهما يترفع عنها صالحوا الأمة فكيف بالأنبياء ؟

وقد انبرى كثير من العلماء الأفاضل للرد على هذه الإسرائيليات المكذوبة المنسوبة زورا إلى نبي الله داود عليه السلام.

فقد قال العلامة "ابن كثير" في "تفسيره": وقد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من

---

١) ينظر في هذه المرويات: الطبري م. (٢٣/٩٣-٩٦) وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام النيسابورى (٢٣/٩٢) وما بعدها- هامش الطبري ط: دار الحديث، تفسير البغوى (٤/٥٢-٥٣)، والدر المنثور (٥/٣٠٠)، وتفسير الخازن (٤/٣٣-٣٥)، والالوسى (٢٣/١٧٨-١٨٢) وأحكام القرآن لآبي بكر بن العربي (٤/١٦٣٤) ط دار المعرفة - بيروت - لبنان.

رواية يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عن الأئمة[١].

ويزيد الرقاشى قال فيه أيضا النسائي والحاكم: إنه متروك الحديث ليس بثقة وكان قاصا، وقال فيه ابن حبان: كان من خيار عباد الله البطائين غفل عن حفظ الحديث شغلا بالعبادة كان يقلب كلام الحسن بجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب[٢].

وقال الإمام فخر الدين الرازى:

والذي أدين به وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه نذكر منها:

الأول: أن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس وأشدهم فجورا لاستنكف منها والرجل الحشوى الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه وربما لعن من ينسبه إليها. فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه ؟

الثاني: أن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق وإلى الطمع في زوجته.

---

١) تفسير الحافظ ابن كثير (٤ / ٣١) ط: عيس الحلبى.

٢) تهذيب التهذيب لابن حجر (١١ - ٣٠٩) وما بعدها ط: أولى - دار المعارف النظامية سنة ١٣٢٧هـ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان التميمى (٣ / ٩٨) تحقيق محمود إبراهيم زايد - ط: ثانية سنة ١٤٠٢ دار الوعي، والجرح والتعديل (٩ / ٢٥١) ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، وتقريب التهذيب (٢ / ٣٦١) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - ط: ثانية ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.

أما الأول: فأمر منكر لقول الرسول، صلى الله عليه وسلم "من سعى في دم مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله[1].

وأما الثاني: فمنكر عظيم لقول الرسول، (صلى الله عليه وسلم) المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[2]، وأما أوربا لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه.

الثالث: أن الله تعالى وصف داود عليه السلام قبل هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة ووصفه أيضا بصفات كثيرة بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافى كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.

ومن هذه الصفات قوله تعالى: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض" وهذا يدل على كذب هذه القصة من وجوه:

أحدها: أن الملك الكبير إذا حكى عن بعض عبيده انه قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم فبعد فراغه من شرح تلك القصة على ملا من الناس يقبح منه أن يقول عقيبه أيها العبد إني فوضت إليك خلافتي ونيابتي وذلك لان ذكر تلك القبائح والأفعال المنكرة يناسب الزجر والحجر فأما جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك مما لا يليق.

---

١) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة (٢/٨٧٤) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى - ط: المكتبة العلمية - ببيروت.

٢) رواه مسلم فى صحيحه بشرح الامام النووى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله (٢/١٠-١٢) كتاب الايمان - تفاضل الإسلام.

الثاني: انه لما كان مقدمة الآية دالة على مدح داود عليه السلام وتعظيمه ومؤخرتها أيضا دالة على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعايب لجرى مجرى أن يقال فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزنى ويسرق وقد جعله خليفة في أرضه وصوب أحكامه وهذا لا يليق بالعاقل فكذا ههنا.

كما أن داود عليه السلام قال: " وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين أمنوا " استثنى الذين أمنوا عن البغي فلو قلنا انه كان موصوفا بالبغي لزم أن يقال انه حكم بعدم الإيمان على نفسه وذلك باطل[1].

واعترض الإمام النيسابورى على الإمام فخر الدين الرازى في جعل قوله تعالى "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض" من الدلائل القوية في تضعيف ما قيل عنه من الروايات الباطلة.

حيث قال: وعندي أن ذلك عليه لا له لقوله تعالى: " فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى " فكأنه قيل له: إنا جعلناك تخلف من تقدمك من الأنبياء في الدعاء إلى الله وفى سياسة المدن أو تخلفنا كما يقال السلطان ظل الله في الأرض فاللائق بهدا المنصب السعي لإصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم وأموالهم لا السعي في هوى النفس بأي وجه يمكن فان صاحبه المصر عليه ضال معرض عن إعداد الزاد ليوم المعاد[2].

وإنى أرى أن ما ذكره الإمام فخر الدين الرازى هو الصواب وهو ما تميل إليه النفس ويقبله العقل في تنزيه داود عليه السلام.

---

١) تفسير الفخر الرازى (١٧٨/٧ وما بعدها) باختصار.

٢) غرائب القرآن (٩٦/٢٣)، هامش الطبرى.

وكذلك افرد الخازن في تفسيره فصلا في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وينسب إليه فقال:

اعلم أن من خصه الله بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى أحاد الناس لاستنكف أن يحدث به فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء ذلك.

روى سعيد بن المسيب والحارث الأعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائه وستين جلدة وهو حد الفرية على الأنبياء[1].

وقال القاضى عياض: لا يجوز أن يلتفت إلى ما سطره الاخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شئ من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه في قصة داود "وظن داود أنما فتناه" وليس في قصة داود واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبه قتل مسلم وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من آمر داود[2].

ثم قال: فان قلت في الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى "وظن داود أنما فتناه" وقوله "فاستغفر ربه" وقوله "وأناب" وقوله "فغفرنا له ذلك".

---

١) إلا أنه لم يصح عن الامام على انه قال ذلك كما قال العراقى، ينظر الاسرائيليات والموضوعات، ص٢٦٨.

٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٥٨/٢) مصطفى محمد.

قلت: ليس في هذه الألفاظ شئ مما يدل على ذلك وذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فيطالبون بأكمل الأخلاق والأوصاف واسناها فإذا نزلوا من ذلك إلى طبع البشرية عاتبهم الله على ذلك وغفر لهم كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين[1].

وبديهى أن الحكمة اسم جامع لكل أعمال الفضائل الإنسانية فهل يليق بالحكيم أن تدفع به شهوته إلى قتل بعض قواده المخلصين بوسيلة فاسدة طمعا في سلب امرأته إلا أن هذا لو فعله أحد الناس لحكم عليه بالدناءة والشره والحسد الذي لأحد له فضلا عما يؤتيه الله الحكمة إن هذا ضرب من ضروب المحال وهل يليق بعد ذلك بأحد يفهم كتاب الله الذي هو المثل الأعلى في الفصاحة والبلاغة والآية الكبرى في تنسيق القول وزنته بموازين الكمال أن يمدح شخصا بمثل هذه المدائح العالية مع كونه شهوانيا لا يستنكف عن قصد قتل قائده لأغراض فاسدة[2].

كما رد عليهم الدكتور عبد الوهاب النجار بما في التوراة من مدح داود عليه السلام فقال: وكل هذا كذب وافتراء وأنى أرد كذبهم بالشهادات التي شهدت بها كتبهم لداود.

ففي سفر صموئيل الثاني في الإصحاح الثاني والعشرين يقول داود يكافئني الرب حسب برى حسب طهارة يدي يرد على لأني حفظت طرق الرب ولم أعصى الهى لان جميع أحكامه أمامي فرائضه لا أحيد عنها.

---

١) تفسير الخازن (٤/٣٥-٣٦) ط: بيروت - لبنان.

٢) أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين فى الإسلام للشيخ عبد الرحمن الجزيرى، ص٤٥٠، ط أولى، سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، مطبعة الارشاد.

وفى هذا السفر يقرون انه كتب بالهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم ومحال أن يكون الزنا من البر وإتباع وصايا الله والمحافظة على شريعته[١].

وفى الإصحاح الثالث من الملوك الأول: فقال سليمان انك قد فعلت مع عبدك داود أبى رحمة عظيمة حسبما شار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته ابنا يجلس على كرسيه كهذا اليوم[٢].

فهل من البر والاستقامة أن يكون زانيا قاتلا ؟

وفى الإصحاح السادس من أخبار الأيام الثاني قول الله لداود: إن يكن بنوك طرقهم يحفظون حتى يسيروا في شريعتي كما سرت أنت أمامي فهل يريد الله لأبناء داود الذين يقويهم ويملكهم أن يكونوا كداود زناة مثله وهل هذا الوصف مما يكافئ الله عليه بحفظهم وتشديد ملكهم.

وفى سفر الملوك الأول قول الله لبربعام بن ناباط عن سليمان إصحاح (١٢ : ٣٤) ولا اخذ المملكة من يده لأجل داود عبدي الذي اخترته الذي حفظ وصاياي وفرائضي فإذا سمعت لكل ما أوصيك به وسلكت في طريقي وفعلت ما هو مستقيم في عيني وحفظت فرائضي ووصاياي كما فعل داود عبدي أكون معك وأبني لك بيتا آمنا كما بنيت لداود وأعطيك إسرائيل[٣].

---

١) العهد القديم، ص٥٢٢.

٢) العهد القديم، ص٥٣٤.

٣) العهد القديم، ص٥٥٥، وينظر قصص الانبياء-عبد الوهاب النجار، ص٣٧٢-٣٧٣.

وبعد فهذا قليل من كثير مما ذكره العلماء في تنزيه ساحة داود عليه السلام من رميه بأفظع التهم عن طريق الروايات الإسرائيلية المكذوبة والتي ما أريد بها إلا النيل من الدين الإسلامي وإسقاطه في مهده إذ أنها لو كانت صحيحة لذهبت بعصمة داود عليه السلام ونفرت الناس منه ولكان لهم العذر في عدم الإيمان به.

* التفسير الصحيح لهذه الآيات:

والتفسير الصحيح لهذه الآيات هو أن داود عليه السلام كان قد وزع مهام أعماله ومسئولياته نحو الرعية ونحو نفسه على الأيام وخص كل يوم بعمل فجعل يوما للعبادة ويوما للوعظ ويوما لخاصة نفسه.

ففي يوم العبادة بينما كان مشتغلا بعبادة ربه في محرابه دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور ولم يدخلا من المدخل المعتاد ففزع منهما فزعا لا يليق بمثله من المؤمنين فضلا عن الأنبياء المتوكلين على الله وظن انهما يريدان به شرا فقالا له لا تخف نحن خصمان تعدى بعضنا على بعض فجئنا نحتكم إليك فاحكم بيننا بالحق ولا تكن جائرا وأرشدنا إلى الطريق المستقيم فاخذ المعتدى عليه يعرض شكواه وقال: إن هذا آخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجه واحدة فأراد أن يضمها إلى نعاجه وكان اغلب منى في القوة والحجة والبرهان فحكم داود عليه السلام بقوله: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى بعاجة" وانكر على صاحب النعاج الكثيرة أن يأخذ من صاحبه نعجة واحدة.

فالرجلان خصمان حقيقة وليسا ملكين كما قالوا ولما قضى لهما وتبين له انهما بريئان مما ظن بهما استغفر ربه وخر ساجدا لله تعالى تحقيقا لصدق توبته والإخلاص له وعلى هذا فاستغفار داود عليه السلام

لهذا الظن وان لم يكن ذنبا إلا انه عند الأنبياء يعتبر خلاف الأولى أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وهذا التأويل هو الذي يوافق نظم القرآن ويتفق مع عصمة الأنبياء فالواجب الأخذ به ونبذ الخرافات والأباطيل.

وقيل أن الذي صنعه داود انه خطب على خطبة اوريا فأثره أهلها عليه وقد كانت الخطبة على الخطبة حرام في شريعتهم كما هي في شريعتنا.

وقيل انه طلب من زوجها اوريا أن ينزل له عنها وقد كان هذا في شريعتهم مستساغا.

وقيل انه أوخذ بمجرد سماعه لكلام الخصمين دون الآخر[1].

وهذه الأقوال الثلاثة وان كانت لا تخل بالعصمة لكنها لا تليق بالصفوة المختارة من الخلق وهم الأنبياء فالوجه الأول هو الأولى.

المبحث الثانى

الإسرائيليات الواردة في قصة سليمان عليه السلام وأبطالها

وكذلك تعد من الإسرائيليات التي أوردها المفسرون وادخلوها في كتب التفسير قصة سيدنا سليمان عليه السلام ويتمثل هذا عند قوله تعالى:

---

١) الاسرائيليات والموضوعات ص٢٦٩-٢٧٠، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٨٥/٢)، تفسير الرازى (١٨١/٧) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير - محمد بن على الشوكانى (٤٢٨/٤) ط: ثانية عيسى الحلبى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾[1].

الإسرائيليات الواردة في الآيات:

روى ابن جرير وغيره من المفسرين: انه كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي اثر نسائه عنده وأمنهن لديه وكان إذا أوتي حاجه نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الأيام فقالت آخي بينه وبين فلان خصومة وأنا احب أن تقضي له إذا جاءك فقال لها نعم ولم يفعل فابتلى وأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته فقال لها هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعد فسالها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال: لا وخرج مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه فقالوا إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا يمشون حتى أتوه فاحدقوا به ثم نشروا التوراة فقراوا فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر واقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم قال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه وهو على الشاطئ فلام لصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال انه زعم انه سليمان فأعطوه سمكتين مما مذر عندهم فقام إلى

---

١) ص: الآية ٣٥.

شط البحر وشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحداهما فأخذه فلبسه فرد عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان واعتذروا إليه فجاء حتى آتي ملكه فأرسل إلى الشيطان فجئ به وجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه فاقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم ألقى في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وسخر لسليمان الريح والشياطين ولم تكن سخرت له من قبل.

وتذكر بعض الروايات: أن الشيطان سلط على ملك سليمان غير نسائه وان الله عصمهن من ذلك كما اختلفوا في اسم الشيطان فقل اصف وقيل: صخر.

وقيل أن سليمان ولد له ابن بعد عشرين سنه فقالت الشياطين: إن عاش لم نتخلص من البلاء والتسخير فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب أن تحفظه ويغذوه خوفا من مضرة الشياطين فما راعه إلا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه في انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وأناب.

وقيل: أن سليمان بلغه خبر صيدون وهى مدينة في بعض الجزائر وإن بها ملكا عظيم الشأن فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها جنوده من الإنس والجن فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس وجها واصطفاها لنفسه وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح

يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وضرب المرأة فعوتب على ذلك[1].

أراء العلماء في هذه الروايات:

لا شك أن هذه الروايات من أكاذيب بنى إسرائيل وأباطيلهم والتي تناقلها المفسرون بعضهم عن بعض دون تفنيد وهى أقوال لم يرد بها قران ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنطبق على عقل ولا حكمة.

وقد انبرى جماعة من العلماء فقاموا بالرد على هذه الأكاذيب منهم:

الإمام ابن كثير حيث قال: بعد أن ذكر الكثير من الإسرائيليات وهذه كلها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قال ابن أبى حاتم: حدثنا على بن الحسن قال حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبه وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية اخبرنا الأعمش بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ ثم ذكر الرواية عن ابن عباس ثم قال: إسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ولكن الظاهر انه إنما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما – أن صح عنه من أهل الكتاب – وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر انهم يكذبون عليه ولهذا كان في هذا السياق منكرات من اشدها النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من

---

١) ينظر تفسير ابن جرير م١٠ (١٠١/٢٣) وما بعدها، وغرائب القرآن (١٠٠/٢٣-١٠١) والدر المنثور (٣٠٩/٥-٣١١) والخازن (٤٠/٤-٤٢) والبغوى (٦١/٤-٦٤) وتفسير ابى السعود (٥٧٣/٧ وما بعدها) والفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية سليمان العجيلى (٥٧٤/٣) ط: عيسى الحلبى.

أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاه عن أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب[١].

كما نقد هذا القاضي عياض في كتابه "الشفا" حيث قال: ولا يصح ما نقله الاحباريون من تسبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله الأنبياء من مثله[٢].

ولو قدر الشيطان أن يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب أن يقدر عي مثلها مع جميع اعلماء والزهاد فيقتلهم ويخرب ديارهم وإذا بطل هذا في حق العلماء الزهاد فلان يبطل في حق الأنبياء أولى.

وكيف يسلط الشيطان على نساء نبيه وهو اكرم على الله من ذلك وأي ملك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه ويزولان بزواله.

ولو قلنا أن سليمان أذن لتلك المرأة في عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر منه[٣].

---

١) تفسير ابن كثير (٤/٣٥-٣٦)، وقصص الانبياء للحافظ ابن كثير. ص٥٠٦. مكتبة المجلد العربى.

٢) الشفا (٢/١٦٢).

٣) تفسير الفخر الرازى باختصار (٧/١٩٣).

وكذلك علق على هذه الروايات ونقدها الإمام الالوسى في كتابه، حيث قال: وقال أبو حيان وغيره: أن هذه المقالة من وضع اليهود وزنادقة السوفسطائية، ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها وكيف يجوز تمثل الشيطان بصورة نبي ؟ نسأل الله سلامة ديننا وعقولنا ومن اقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حيض الله اكبر هذا بهتان عظيم وخطب جسيم ونسبة الخبر إلى ابن عباس رضى الله عنهما لا تسلم صحتها وكذا لا تسلم دعوة قوة السند إليه وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما برواية عبد الرازق وابن المنذر ما هو ظاهر في أن ذلك من أخبار كعب ومعلوم أن كعبا يرويه عن كتب اليهود وهى لا يوثق بها على أن أشعار ما يأتي بان تسخير الشياطين بعد الفتنة يأبى صحة هذه المقالة كما لا يخفى. ثم أن آمر الخاتم خاتم سليمان عليه السلام في غاية الشهرة بين الخواص والعوام ويستبعد جدا أن يكون الله تعالى قد ربط ما أعطى نبيه عليه السلام من الملك بذي الخاتم وعندي انه لو كان في ذلك الختم السر الذي يقولون لذكره الله عز وجل في كتابه. والله علم بحقيقة الحال[1].

ونستنتج من هذا أن قوة السند وثبوت القصة في نفسها لا ينافى كونها من الإسرائيليات الباطلة ولا ينافى أيضا أن ابن عباس وغيره آخذها من كعب الأحبار وأمثاله كما صرح بذلك المفسرون في كتبهم آخذها عن كعب الأحبار وأمثاله كما صرح بذلك المفسرون في كتبهم وذلك كما قال الالوسى آنفا ونسبة الخبر إلى ابن عباس لا تسلم صحتها وكذا لا تسلم

---

١) تفسير الالوسى المسمى روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى (١٩٩/٢٣) وما بعدها، ط: دار إحياء التراث – بيروت.

دعوى قوة السند إليه بل يؤكد من رواية أخرى أن ابن عباس رواها عن كعب الأحبار وكعب يروى عن كتب الهود دون توثيق.

ويقول الأستاذ محمد أبو شهبه: أن نسج القصة مهلهل وعليه اثر الصنعة والاختلاق ويصادم العقل السليم والنقل الصحيح ولا يصمد أمام النقد وان آثار الكذب والاختلاق بادية عليه[1].

هذا وقد تجرا بعض الرواة أو غلط فرفع بعض هذه الإسرائيليات إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال السيوطى في الدر المنثور: اخرج الطبرانى في الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لسليمان ولد فقال للشيطان تواريه من الموت قالوا نذهب به إلى المشرق فقال يصل إليه الموت قالوا فألي المغرب قال يصل إليه الموت قالوا إلى البحار قال يصل إليه الموت قالوا نضعه بين السماء والأرض قال نعم ونزل عليه ملك الموت.

فقال: إني أمرت بقبض نسمة طلبتها في البحار وطلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها فبينما أنا قاعد أصبتها فقبضتها وجاء جسده حتى وقع على كرسي سليمان فهو قوله تعالى ' ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب[2].

ولا شك أن هذا الحديث موضوع ومختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قد يكون من عمل بعض الزنادقة أو خطأ بعض الرواة.

---

١) الاسرائيليات والموضواعات، ص٢٧٣، ٢٧٤ باختصار.

٢) الدر المنثور (٣١١/٥) ط: دار المعرفة – بيروت.

وقد نبه على وضعه الحافظ أبو الفرج بن الجوزى حيث قال: يحي يعنى ابن كثير يروى عن الثقات ما ليس من حديثهم ولا ينسب إلى نبي الله سليمان ذلك ووافقه السيوطى على وضعه[١].

إذا فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشك كذب هذه الافتراءات، والإسرائيليات على هذا النبي العظيم وكيف يليق أن تنسب إليه هذه الخرافات الباطلة وهو الذي طلب من الله تعالى أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده واستجاب الله لطلبه وراعى هذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم حينما تعرض له الجني وأراد حبسه ولكنه تذكر دعوة أخيه سليمان فتركه.

روى مسلم في صحيحه عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فسمعناه يقول " أعوذ بالله منك - ثم قال: العنك بلعنه الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله أنا سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال صلى الله عليه وسلم أن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم أردت أن أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة. " والولدان الصبيان[٢].

---

١) الموضاعات لأبى الفرج بن الجوزى (٢١٧/٣) كتاب ذكر الموت باب الفرار من الموت، ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، واللالئ المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة - جلال الدين السيوطى (٤١٤/٢)، كتاب الموت والقبور، ط: دار المعرفة ببيروت.

٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٣٠/٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة - ط: دار الريان للتراث، ورواه البخارى ==

وكما يقول الأستاذ عبد الرحمن الجزيرى: أنها فتنه في الدنيا لا في الدين بمعنى أن الله اختبر سليمان في آمر الملك كي يظهر سليمان ثقته بربه وعدم اكتراثه بالملك في جانب مرضاة ربه فلما دخل سليمان محل سرير ملكه وجد عليه رجلا جالسا يتصرف في شئون الرعية دونه فارتاع لذلك ولكنه رجع إلى ربه وأناب إليه وسلم له الأمر وطلب من ربه أن يغفر له جزعه الأول وان يثبت ملكه وان يمنحه ملكا لا يكون لغيره[1].

* التفسير الصحيح لهذه الآيات:

والفسير الصحيح المتعين في تفسير الفتنه هو ما ورد مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما جاء في الصحيحين واللفظ للبخاري عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على سبعين امراه تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل أن شاء الله فلم يقل ولم تحمل واحده منهن شيئا إلا واحده جاءت بولد ساقط إحدى شقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله أجمعين".

قال شعيب وأبو الزناد على تسعين امرأة وهو أصح[2].

==مختصرا عن أبى هريرة فى صحيحه (١٩٧/٤) كتاب بدء الخلق - باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان ..﴾.

١) أدلة اليقين، ص٤٥٥.

٢) صحيح البخارى (١٩٧/٤) كتاب بدء الخلق، أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب﴾. ورواه مسلم عن أبى هريرة (١٧٣/٢) كتاب الايمان باب الاستثناء، ينظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للاستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقى، ط: دار الجيل - بيروت.

فالفتنة على هذا كونه لم يقل إن شاء الله، والجسد هو شق الانسان الذى ولد له وهو محنته لأنه لم يستثن وتركه الاستثناء فى هذا الموقف ليس ذنبا وإنما خلاف الأولى أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولذلك طلب المغفرة من باب هضم النفس وإظهار الذلة والخضوع .

وقيل: المراد بفتنته أنه فتن بسبب مرض شديد ألقاه الله عليه وألقى على كرسيه منه جسدا وذلك لشدة المرض، والعرب تقول فى الضعيف انه لحم على وضم[1] وجسم بلا روح، ثم أناب أى رجع إلى حال الصحة.

وقيل أيضا: إن الله ابتلاه بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسى ثم أزال الله عنه ذلك الخوف وأعاد إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب.

إلا أن الرأى الأول هو الأولى والأرجح لميل العقل له ولكونه ثابتا فى الصحيحين.

المبحث الثالث

الاسرائيليات الواردة فى قصة

أيوب عليه السلام وإبطالها

وكذلك من الاسرائيليات المكذوبة على الانبياء قصة أيوب عليه السلام وتتمثل الفتنة فى قوله تعالى:

---

١) الوضم محركة ما وقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير، وتركهم لحما على وضم أوقعهم وأوقع بهم فذللهم وأوجعهم. القاموس ١٥٠٧.

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنّا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾[1].

وقصة أيوب عليه السلام من القصص القرانى الذى استغله القصاص وتزيد فيه المتزيدون فزوّروا فى ذلك حكايات عجيبة منبعها كلها من اهل الكتاب اذ ان له سفرا خاصا يسمى سفر أيوب.

وفى هذا السفر وكان ذات يوم انه جاء بنوه ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان فى وسطهم أيضا فقال الرب للشيطان من اين جئت فاجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الارض ومن التمشى فيها فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدى أيوب لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر فاجاب الشيطان الرب وقال هل مجانا يتقى أيوب الله اليس انك سبحت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية باركت اعمال يديه فانتشرت مواشيه فى الارض ولكن ابسط يدك الان ومس كل ماله فإنه فى وجهك يجدف عليك، فقال الرب للشيطان هو ذا كل ماله فى يدك وانما اليه لا تمد يدك ثم خرج الشيطان من أمام وجه الرب.

وكان ذات يوم وابناؤه وبناته ياكلون ويشربون خمرا فى بيت اخيهم الاكبر ان رسولا جاء إلى أيوب وقال: البقر كانت تحرث والاتن ترعى بجانبها فسقط عليهم السبئيون واخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ونجوت انا وحدى وجئت لاخبرك وبينما هو يتكلم اذ جاء اخر وقال نار سقطت من السماء فاحرقت الغنم والغلمان ونجوت انا وحدى وجئت لاخبرك

---

١) ص: ٤١ - ٤٤.

... ثم جاء اخر وقال الكلدانيون عينوا ثلاث فرق فهجموا على الجمال واخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف ... ثم جاء آخر وقال: بنوك وبناتك كانوا يأكلون ويشربون خمرا فى بيت اخيهم واذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الاربع فسقط على الغلمان فماتوا فقام أيوب ومزق جبته وجز شعر رأسه ولم يخطىء أيوب فى كل هذا.

ثم سلط الشيطان على أيوب فخرج الشيطان من حضرة الرب وضرب أيوب بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته فاخذ لنفسه شقفة يحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد ... ثم جاء اصحابه وقعدوا معه على الارض سبعة ايام وسبع ليال ولم يكلمه احد بكلمة لانهم راو ان كابته كانت عظيمة.

ثم بعد هذا فتح أيوب فاه وبدا يتكلم فقال: "ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه والليل الذى قال قد حبل برجل ليكن ذلك اليوم ظلاما لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نهار"[1].

وذكر المفسرون عدة روايات عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب " منها ما ذكره السيوطى فى الدر المنثور وغيره كابن جرير قال: ذهاب الاهل والمال والضر الذى اصابه فى جسده ابتلى سبع سنين واشهرا فالقى على كناسة بنى اسرائيل تختلف الدواب فى جسده ففرج الله عنه﴾.

وروى عن ابن عباس: ان الشيطان عرج إلى السماء فقال يارب سلطنى على أيوب عليه السلام قال الله قد سلطتك على ماله وولده ولم اسلطك على جسده فنزل فجمع جنوده فقال لهم: قد سلطت على أيوب عليه السلام فأرونى سلطانكم فصاروا نيرانا ثم صاروا ماء فبينما هم بالمشرق

---

١) العهد القديم سفر أيوب - الإصحاح الأول والثانى، ص٧٩٢ - ٧٩٥.

إذا هم بالمغرب وبينما هم بالمغرب إذ هم بالمشرق فأرسل طائفة منهم إلى زرعه وطائفه إلى أهله وطائفه إلى بقره وطائفه إلى غنمه وقال انه لا يعتصم منكم إلا بالمعروف فأتوه بالمصائب بعضها على بعض فجاء صاحب الزرع فقال يا أيوب الم تر إلى ربك ارسل على زرعك عدوا فذهب به وجاء صاحب الابل وقال الم تر إلى ربك ارسل على ابلك عدوا فذهب بها ثم جاء صاحب البقر فقال: الم تر إلى ربك ارسل على بقرك عدوا فذهب بها وتفرد هو ببنيه جمعهم فى بيت أكبر فبينما هم يأكلون ويشربون إذ هبت ريح فأخذت بأركان البيت فالقته عليهم فجاء الشيطان إلى أيوب بصورة غلام فقال: يا أيوب الم تر إلى ربك جمع بنيك فى بيت أكبرهم فبينما هم ياكلون ويشربون اذ هبت ريح فاخذت باركان البيت فالقته عليهم فلو رايتهم حين اختلطت دماؤهم ولحومهم بطعامهم وشرابهم، فقال له أيوب أنت الشيطان ثم قال له أنا اليوم كيوم ولدتنى أمى فقام فحلق راسه وقام يصلى فرن ابليس رنة سمع بها أهل السماء وأهل الأرض، ثم خرج إلى السماء فقال أى رب إنه قد اعتصم فسلطنى عليه، فإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك قال: قد سلطتك على جسده ولم أسلطك على قلبه فنزل فنفخ تحت قدمه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه فصار قرحة واحدة وألقى على الرماد حتى بدا حجاب قلبه فكانت امرأته تسعى إليه حتى قالت له أما ترى يا أيوب قد نزل بى والله من الجهد والفاقة ما كان بعت قرونى برغيف فأطعمك فادع الله أن يشفيك ويريحك، قال: ويحك كنا فى النعيم سبعين عاما فأصبرى حتى نكون فى الضر سبعين عاماً، فكان فى البلاء سبع سنين ودعا، فجاء جبريل عليه السلام يوماً فاخذ بيده، ثم قال: قم فقام فنحاه عن مكانه وقال اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين ماء، فقال اغتسل فاغتسل منها ثم جاء أيضا فقا: اركض برجلك فنبعت عين أخرى فقال له: اشرب منها وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب فجلس فى ناحية

وجاءت امرأته فلم تعرفه، فقالت يا عبد الله أين المبلتى الذى كان هنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب وجعلت تكلمه ساعة، فقال: ويحك أنا أيوب قد رد الله على جسدى، ورد الله عليه ماله وولده عياناً ومثلهم معهم[١].

وقيل: لما ابتلى نبى الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده وطرح فى مزبلة وجعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه فحسده الشيطان على ذلك، وكان يأتى أصحاب الخبز والشوى الذين كانوا تصدقون عليها فيقول اطردوا هذه المرأة التى تغشاكم فإنها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها فالناس يتقذرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك وكان يلقاها إذا خرجت كالمحزون لما لقى أيوب، فيقول لج صاحبك فأبى إلا ما أبى فو الله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضر ولرجع إليه ماله وولده فتجئ فتخبر أيوب فيقول لها لقيك عدو الله فقال هذا الكلام ويلك ..."[٢].

وذكر ابن كثير فى تفسيره: انه أصيب بالجذام فى سائر بدنه ولم يبق منه سليما سوى قلبه ولسانه يذكر بها الله عز وجل حتى عافه الجليس وصار منبوذا فى ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه غير زوجته وتحملت فى بلائه ما تحملت حتى صارت تخدم الناس بل قد باعت شعرها بسبب ذلك.

ثم قال: واختلفوا فى السبب المهيج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقتادة: ابتلى أيوب سبع سنين واشهر ملقى على كناسة بنى إسرائيل تختلف الدواب فى جسده ففرج الله عنه واعظم له الأجر واحسن له الثناء.

وقال وهب بن منبه: "مكث فى البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص".

---

١) الدر المنثور (٥/٣١٥-٣١٧).

٢) تفسير ابن جرير (٢٣/١٠٨).

وقال السدى: "تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام".

ومع أن ابن كثير ينبه على الإسرائيليات ويحذر منها إلا انه فى هذه القصة سردها ولم ينبه عليها.

وروى حديث مرفوع عن أنس بن مالك أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن نبى الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه وما ذاك، قال من ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا ادرى ما تقول غير أن الله يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فارجع إلى بيتى فاكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا فى حق، قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب.

قال ابن كثير: رفع هذا الحديث غريب جدا والأشبه أن يكون موقوفاً.

آراء العلماء فى هذه الروايات:

لا شك أن هذه الروايات من أباطيل وخرافات بنى إسرائيل إذ هى مخالفة ومصادمة لصريح العقل والنقل، وتصدى العلماء للرد عليها ومخالفتها:

فالإمام الرازى فى تفسيره يخبر عن هذه القصة ثم يبين تكذيبها من عدة وجوه:

١-لو جوزنا حصول الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان فلعل الواحد منا إنما وجد فى الحياة بفعل الشيطان، ولعل كل ما حصل عندنا من الخيرات بفعل الشيطان وحينئذ لا يكون لنا سبيل إلى أن نعرف أن معطى الحياة والموت والصحة والسقم هو الله.

٢-أن الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يسعى فى قتل الأنبياء والأولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل أولادهم؟.

٣-أن الله تعالى حكى عن الشيطان أنه قال: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ فصرح على انه لا قدرة له فى حق البشر إلا على إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة[١].

ثم أن هذه الروايات تحكى أن الشيطان وقف مع الله موقف الناصح له فقال: أن عبدك أيوب أنعمت عليه فشكرك ولو ابتليته لخرج عن طاعتك وأن الله استجاب له وسلطه على أيوب وماله وولده وهذا يعتبر قدحاً فى نظام الألوهية وفى علم الله المحيط بكل شىء.

ويقول صاحب أضواء البيان: انه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذره الناس عليها لأن فى ذلك تنفيراً فأما الفقر والمرض وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك[٢].

---

١) تفسير الفخر الرازى (١٩٩/٧) والاية من سورة إبراهيم رقم ٢٢، ونظر: محاسن التأويل - محمد جمال الدين القاسمى (٤٢٩٨/١١) ط: دار احياء الكتب العربية - عيسى الحلبى.

٢) أضواء البيان - محمد الأمين الشنقيطى (٦٨١/٤) عالم الكتب.

ويفند الإمام ابن العربى اقوالهم ويرد عليها فيقول:

أما ما ذكره المفسرون من أن إبليس كان له مكان فى السماء السابعة يوما من العام فقول باطل لأنه اهبط منها بلعنة وسخط إلى الأرض فكيف يرقى إلى محل الرضا ويجول فى مقامات الأنبياء ويخترق السموات العلى ويعلو إلى السماء السابعة إلى منازل الأنبياء فيقف موقف الخليل أن هذا الخطب من الجهالة عظيم.

ثانيا: قولهم إن الله تعالى قال له هل قدرت من عبدى أيوب على شىء فباطل لأن الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم من جند إبليس الملعون فكيف يكلم من تولى إضلالهم.

ثالثا: أما قولهم إن الله قد سلطك على ماله وولده فذلك ممكن فى القدرة بعبد فى القصة.

فالإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فأعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها أذنيك فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالا ولا تزيد فؤادك إلا خيالاً[1].

وأما الحديث الذى روُوه عن النبى (صلى الله عليه وسلم)، فذهب المحققون من العلماء إلى أن نسبة هذا إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبُون الأسانيد للمتون، أو من غلط بعض الرواة.

---

١) أحكام القرآن-ابن العربى(٤/١٦٥٠)بتصرف، وينظر تفسير القرطبى ص٥٦٥٤ وينظر البحر المحيط لأبى حيان(٧/٤٠٠ وما بعدها)،ط: ثانية، سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م

وأن ذلك من إسرائيليات بنى إسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء[١].

وابن حجر يصرح بأن ما روى فى قصة "أيوب" لا يخرج عن وهب وغيره من كتّاب بنى إسرائيل[٢].

التفسير الصحيح لهذه الآيات:

والتفسير الصحيح لهذه الآيات أن الله تبارك وتعالى ابتلى ايوب عليه السلام فى جسده واهله وماله وأنه صبر حتى صار مضرب الامثال فى ذلك الوقت وأثنى الله تعالى عليه بقوله: ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب﴾ والبلاء مما لا يجوز أن يشك فيه أحد.

يقول الدكتور "محمد أبو شهية": والذى يجب أن نعتقده انه ابتلى ولكن بلاءه لم يصل إلى حد هذه الأكاذيب من انه أصيب بالجذام وأن جسمه أصبح قرحة وأن ألقى على كناسة بنى إسرائيل يرعى فى جسده الدود وتعبث به دواب بنى إسرائيل أو أنه أصيب بمرض الجدرى، وأيوب عليه صلوات الله وسلامه عليه اكرم على الله من أن يلقى على مزبلة وأن يصاب بمرض ينفر الناس من دعوته ويقززهم منه، وأى فائدة تحصل من الرسالة وهو على هذه الحال المزرية التى لا يرضاها الله لأنبيائه ورسله[٣].

---

١) الإسرائيليات والموضوعات، ص٢٧٩.

٢) فتح البارى(٦/٢٦٦) كتاب بدء الخلق-أحاديث الأنبياء-باب قول الله تعالى:﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾، الأنبياء: ٨٣.

٣) الإسرائيليات والموضوعات، ص٢٨٠.

وأما المراد بقوله "أنى مسّنى الشيطان بنصب وعذاب" أى مسّنى الشيطان ببلاء فى جسدى وعذاب بذهاب مالى وولدى[١]، أو ما كان يبثه الشيطان فى قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء وإغرائه على الجزع والقنوط من روح الله[٢].

ثم دعا أيوب عليه السلام الله أن يخلصه مما فيه فاستجاب الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾، أمره الله تبارك وتعالى أن يضرب الأرض برجله فنبعث عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب فاذهب الله عنه ما يجده من الألم والمرض ظاهرا وباطنا وقيل إنه نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فبرئ ظاهره، وضرب رجله اليسرى فنبعت عين ماء باردة فشرب منها فزال ما فى بطنه.

والظاهر أنها عين واحدة أى هذا مكان يغتسل فيه ويشرب منه[٣].

واستدل الشيخ أحمد مصطفى المراغى: فى هذا على أن ما أصيب به أيوب عليه السلام من الأمراض الجلدية غير المعدية كالاكزيما والحكة ونحوهما مما يتعب الجسم ويؤذيه لكنه ليس بفتّاك، كما أن فى ذلك إيماء إلى أن الماء كان من المياه الكبريتية ذات الفائدة الناجعة فى تلك الأمراض وهى كما تفيد بالاستعمال الظاهرى تفيد بالشرب أيضا[٤].

وكان أيوب عليه السلام قد غضب على امرأته حينما أبطأت فى بعض المهمات فحلف أن يضربها مائة سوط، ولما كانت حسنة الخدمة له حلل الله

---

١) تفسير الطبرى (٢٣/١٠٧).
٢) غرائب القرآن (٢٣/١١٠)، هامش الطبرى.
٣) غرائب القرآن (٢٣/١١٠).
٤) تفسير المراغى (٨/٢٢٦).

تعالى يمينه بأيسر شيء عليه وعليها، فقال: ﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب﴾ وذلك بأن يأخذ حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان ويضربها ضربة واحدة وبهذا يتحلل من يمينه[1].

وروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "بينما أيوب يغتسل عرياتا خر عليه جرادا من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو فى ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى، قال عليه الصلاة والسلام: بلى يا رب ولكن لا غنى لى عن بركتك"[2].

الخاتمة

هذا ما وفقنى الله تعالى إلى ما ضمنته هذا كالبحث من بيان الدخيل فى التفسير وما دسه الحاقدون ووضعوه من الأحاديث التى لا تليق بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية المطهرة بعد أن تركها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بيضاء نقية، فتحدثت عن بدء تاريخ الدخيل حتى قبل البعثة النبوية وبعد بعثته صلى الله عليه وسلم، فى عصر الصحابة والتابعين وأسباب انتشار الدخيل من الإسرائيليات ووضع الأحاديث المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا البحث نستنتج أن:

١ -مدى خطورة الدخيل وانتشاره فى كتب التفسير والتى كانت سببا قوياً فى إضعاف الثقافة الإسلامية لدى المسلمين مما يؤكد على أهمية هذا العلم

---

١) تفسير ابن كثير (٤/٤٠) بتصرف.

٢) صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى (٦/٢٢٦) كتاب بدء الخلق -باب قول الله تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾، أحاديث الأنبياء.ت

لمن يريد أن يفسر كتاب الله تعالى لأن به يعرف المفسر الدخيل على التفسير والحديث وما هو حق وما هو باطل.

٢-خطأ بعض المفسرين فى نقلهم لهذه الإسرائيليات دون تنبيه أو تفنيد لها مما أوقع بعض العوام فى الخطأ.

٣-وجوب تصدى العلماء لهذا اللون من الدخيل والإسرائيليات وتطهير كتب التفسير والحديث منها حتى تظل لمن يقرؤها بيضاء نقية طاهرة وحتى لا ينخدع العوام بما فيها من قصص وروايات خرافية منسوجة على الأنبياء الصالحين مما يؤذى الدين الإسلامى ويضُر به ويسنح للمستشرقين الخوض فيه والنيل منه.

وبعد فإن هذا الدين لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولن يتخلى الله عن دينه أبدا، فإن العاقبة للمتقين، والصراع بين الحق والباطل قديم قدم الإنسان ومهما طال أمد الباطل فلابد من أن ينتصر الحق ولو بعد حين فوعد الله لا يتخلف أبدا فإذا نصرنا الله فلابد أن ينصرنا الله ﴿يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتب الحديث:

* أضواء على السنة المحمدية - محمود أبو ريه - ط: ثالثة، دار المعارف.
* السنة قبل التدوين - محمد عجاج الخطيب - ط: مكتبة وهبه.
* تأويل مختلف الحديث - ابن قتيبة - ط: دار الكتاب العربى - بيروت.
* تقريب التهذيب - أحمد بن حجر العسقلانى - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - ط: ثانية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
* تهذيب التهذيب - أحمد بن على بن حجر -ط: أولى - دائرة المعارف النظامية - ١٣٢٧هـ.
* الجرح والتعديل - الحافظ أبى محمد بن أبى حاتم الرازى - ط: دار الكتب العلمية - بيروت.
* سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - المكتبة العلمية - بيروت.
* سنن الترمذى - أبو بكر بن العربى - ط: دار الكتاب العربى.
* صحيح البخارى - أبو عبد الله البخارى -ط: كتاب الشعب.
* صحيح مسلم بشرح النووى - أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى - ط: أولى دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
* فتح البارى لشرح صحيح البخارى - شهاب الدين أحمد بن حجر - ط: أولى - ١٣٢٥هـ.
* اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة - جلال الدين السيوطى - ط: دار المعرفة بيروت.
* اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - محمد فؤاد عبد الباقى.

* المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتركين - محمد بن حيان التميمى - تحقيق محمود إبراهيم زايد - ط: ثانية ١٤٠٢هـ - دار الوعى.
* مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامى.
* الموضوعات - لأبى الفرج بن الجوزى - ط: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.
* الموطأ - للإمام مالك بن أنس - ط: كتاب الشعب.

كتب السيرة:

* السيرة النبوية - لابن هشام - ط: كتاب التحرير.
* المعجزة الكبرى القرآن - محمد أبو زهرة - ط: دار المعارف.
* خاتم النبيين - محمد أبو زهرة - ط: دار الفكر العربى.
* فقه السيرة - محمد الغزالى - ط: دار الكتب الحديثة.
* قصص الأنبياء - الحافظ ابن كثير - ط: المجلد العربى.
* قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار - ط: مكتبة التراث.

كتب الإسرائيليات:

* الاتجاهات المنحرفة فى التفسير - د. محمد حسين الذهبى - ط: ثانية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م - دار الاعتصام.
* الإسرائيليات والموضوعات - د. محمد أبو شهبة - مكتبة السنة.
* الإسرائيليات فى التفسير والحديث - د. محمد حسين الذهبى ط: سلسلة البحوث الإسلامية - ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
* الدخيل فى تفسير القرآن - د. عبد الوهاب فايد - ط: أولى.
* منار السبيل فى بيان ما فى التفسير من الدخيل - د. محمد إبراهيم الشافعى - ط: ثانية.

كتب اللغة:

* القـــاموس المحيـــط – مجـــد الديـــن الفيروزبـــادى – ط: ثانيـــة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

* لسان العرب – لابن منظور – ط: دار المعارف ١٩٨٨م.

كتب العقيدة والثقافة:

* إحياء علوم الدين – لأبى حامد الغزالى – ط: المكتبة التجارية.

* أدلة اليقين فى الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين فى الإسلام – الشيخ عبد الرحمن الجزيرى – ط: أولى ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

* الأسفار المقدسة فى الاديان السابقة – د. على عبد الواحد وافى – ط: أولى ١٣٨٤هـ/١٩٣٤م.

* الشفا بتعريف حقوق المصطفى – للقاضى عياض – ط: مصطفى محمد.

* الكتاب المقدس – جمعية الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى.

* اليهودية – لابن حزم – تحقيق محمود على حماية – ط: أولى – سنة ١٩٨١م. – دار الطباعة المحمدية.

* مقدمة العلامة ابن خلدون – ط: مصطفى محمد.